السلم في ممارسات الاشتراكية

حتى مطلع القرن الحالي لم تكن الماركسية قد عالجت مسألة التعايش السلمي انطلاقا من أن رائدي الاشتراكية العلمية ، ماركس وانجلز ، لم يريا في ظل ظروف الرأسمالية التي عايشاها امكانية انتصار الاشتراكية في بلد واحد . وكان للينين الفضل الاول في ملاحظة ان الدول الرأسمالية لا تتطور بوتيرة واحدة وانما بدرجات متفاوتة ، مما يولد في السلسلة الرأسمالية حلقات ضعيفة يسهل كسرها بمطرقة الثورة الاشتراكية .

من خلال هذه الرؤية استنتج لينين امكانية التعايش السلمي بل وحتميته في عالم يقتسمه نظامان متضادان . ورأى ان التعايش السلمي بين النظامين ليس من شأنه حماية الثورة الاشتراكية الوليدة وتوفير وسائل بقائها وازدهارها فحسب ، بل هو الى جانب ذلك أداة هدم للاسس التي يقوم عليها النظام الرأسمالي . فالتعايش السلمي في المفهوم اللينيني ليس فقط طريقا لانتفاء الحرب ، بل اسلوب للعلاقات بين الدول يحترم السيادة الوطنية ويضمن التطور المستقل للشعوب وحقها في اختيار نمط حياتها دون خوف من تدخلات خارجية ، كما انه شكل اخر من الصراع الطبقي على النطاق الدولي . ومنذ نداء السلم الذي ولد على فم ثورة اكتوبر في يومها الاول عام ١٩١٧ ، حتى البرنامج السلمي الذي أقره المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي عام ١٩٧١ ، فان نشاط السلطة السوفياتية ، وفيما بعد منظومة الدول الاشتراكية وقوى السلم والحرية في العالم ، قد تميز بالنضال الدؤوب من اجل السلم والانفراج الدوليين . واذا كان النضال في بادىء الامر يحمل طابعا دفاعيا عن الثورة الاشتراكية، فانه مع اضطراد نمو النظام الاشتراكي وازدياد جبروته ، قد اخذ يتحول الى مرحلة الهجوم ، واخذ جيش السلام يتسع بانضمام دول وطنية حديثة الاستقلال وبروز حركات تحرر وطني وتعزز أحزاب الطبقة العاملة . وتوفرت قوى اعظم لتصعيد الضغط على الامبريالية واجبارها في النهاية على احترام السلم :

● **قوى المنظومة الاشتراكية** : ان الاشتراكية التي شقت طريقها في بلد واحد تعداد سكانه ١٥٠ مليونا قبل اكثر من نصف قرن ، قد أصبحت نظاما اجتماعيا لمنظومة اشتراكية تضم ١٤ بلدا تعداد سكانها يربو على الالف وثلاثمائة مليون انسان . والاشتراكية التي لم تكن عند قيامها تساهم في الانتاج الصناعي وميدان التجارة العالميين بأكثر من ٣ ٪ اصبحت تشكل حتى عام ١٩٧٠ اكثر من ٤٠ ٪ .

لقد تطور الانتاج الاجمالي للصناعة السوفياتية عبر نصف القرن الماضي بأكثر من ٥٠ ضعفا . وتضاعفت تجارته مع البلدان النامية ٣٠ مرة عما كانت عليه سنة ١٩٤٦ ، وبلغت مع الدول الرأسمالية المتطورة ستة مليارات روبل عام ١٩٧٢ . وفيما كان الحجم العام للدخل الوطني قد بلغ في اعوام (٣٦ — ٤٠) ١٥٤ مليار روبل ، فقد بلغ في أعوام (٦٦ — ٧٠) ١١٦٦ مليار روبل وهذا بدوره يزداد بنسبة ثابتة قدرها ٨ ٪ سنويا(٨). اما بقية دول مجلس التعاضد الاشتراكي فقد ضاعفت انتاجها الصناعي بحوالي سبع مرات خلال اعوام ١٩٥٠ — ١٩٧٠ .

ان الاتحاد السوفييتي يحتكر منذ زمن بعيد المراتب الاولى في العالم بالنسبة لعدد المهندسين والاطباء والعلماء والطلاب واقصر اسبوع عمل . هذا التعاظم في مقدرة المعسكر الاشتراكي ينعكس تلقائيا على مدى تأثيره في سير الاحداث العالمية ، فلم يعد مشكوكا فيه ان الاشتراكية ، وليست الرأسمالية كما كان الامر في الماضي ، هي التي تطبع سير الاحداث بطابعها وتوجه مسار التاريخ وجهته الحتمية .